سلطة الدال الرمزي على الفضاء المائي (البحر) في السياق القرآني (قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر أنموذجا)

د. سماح يوسف السميرات *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٢/٨/٢٨م تاريخ قبول البحث:٢٠٢٢/١٢/١٥م

الملخص

للماء حضور كبير ولافت في النصوص القرآنية التي تحكي قصة موسى عليه السلام، لما له من تشكلات دلالية رمزية ترمي إلى مخزون معرفي، وأنساق ثقافية مضمرة في متن النص، ووقفت هذه الدراسة عند سلطة الدال الرمزي للفضاء المائي (البحر ومتعلقاته) في سورة الكهف، وتحديدا في الآيات التي تحكي عن قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وامتحنت حضوره في السياق القرآني وتبين أنه يشير إلى العلم بكل جوانبه.

ولوحظ أن مفردة البحر كفضاء مائي في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح لها حركة دلالية رمزية فأول الرحلة انطلقت من البحر، وربطت العلم الشرعي "علم موسى عليه السلام بالعلم الغيبي (علم العبد الصالح) وعبر عن العلمين رمزيا بـ(مجمع البحرين) كما ساهمت متعلقات البحر كالحوت، والنون في اسم الفتى يوشع بن نون، ولم تقتصر دلالتها على القصة وإنما نجدها تتواشج مع خواتيم الآيات في سورة الكهف لتدعم فكرة العلم.

كما أمدت مفردة البحر النص بشرايين جديدة أعطته القوة والحيوية، وغزارة الدلالة بما حمل من معانٍ، وقام بوظيفة جمالية في تشكيل صورة فنية أثرت الدلالة، وكشفت عن تعدد قراءة النص القرآني، ومنحتنا -بفضل الله- أن نجتهد في إعادة مقروئية القصة بما يمنحها ديمومة في عصرنا الحاضر.

الكلمات المفتاحية: بحر، رمز، الحوت، العبد الصالح، القضاء والقدر.

*باحثة.

The Symbolic Signifier of the Water Space (the Sea) in the Qur'anic Context: The Story of our Master Moses, Peace be upon Him, with Al-Khidr as a Model)

Abstract

Water has a large and striking presence in the Qur'anic texts that tell the story of Moses because of its symbolic semantic formations aimed at a store of knowledge and cultural patterns implicit in the text, specifically in the verses that talk about the story of Moses with the righteous servant. This study examined the authority of the symbolic signifier of the watery space (the sea and its belongings) in Surah Al-Kahf, specifically in the verses that tell about the story of Moses, may God bless him and grant him peace, with the righteous servant. It examined its presence in the Qur'anic context and found that it refers to knowledge in all its aspects.

It was noted that the word "sea" as a watery space in the story of Moses, the righteous servant, has a symbolic semantic movement, as the beginning of the journey started from the sea, and linked the legal knowledge "the knowledge of Moses, may God bless him and grant him peace, with the unseen knowledge (the knowledge of the righteous servant), and the two sciences were symbolically expressed as (Bahrain Complex). Just as sea -related things such as the whale and the Nun contributed to the name of the boy, Yusha bin Nun, and their significance was not limited to the story, but rather we find them intertwined with the endings of the verses in Surat Al-Kahf to support the idea of knowledge.

The word "sea" also provided the text with new veins that gave it strength, vitality, and abundance of significance, including the meanings it carried. It performed an aesthetic function in forming an artistic image that enriched the significance, revealed the multiplicity of readings of the Qur'anic text, and allowed us - thanks to God - to strive to restore the readability of the story in a way that gives it permanence in life.

Key words: Sea, Symbol, Righteous servant, Fate and destiny.

المقدمة:

رافق البحر البشرية طوال تاريخها منذ انبثاق الحياة على شواطئ البحار الطينية، كما كان مجالا لتقدم الحضارة الإنسانية منذ اخترع الإنسان السفن للصيد، وأثرى الحياة البشرية، وقضى على اغتراب الإنسان وعزلته، وتنمية عوامل الاتصال الإنسانية، والبحر يسهم في تطوير الشخصية الإنسانية، وتفردها بالبطولة والمغامرة والحرية [1]، وهو عامل جغرافيّ ثابت في حياة الأمم التي تشاطئه، وقد استخدمته الأمم في أنشطتها الاقتصادية على مدى التاريخ، فساهم في تشكيل مجتمعاتها وثقافاتها ومخيّلاتها على مرِّ العصور.

وللماء حضور كبير في النصوص المقدسة، والنصوص الشعرية، لما له من تشكلات دلالية رمزية ترمي إلى مخزون معرفي، وأنساق ثقافية مضمرة في متن النص، وكان حضوره لافتا في السياق القرآني، وخاصة فيما يتعلق بمراحل حياة سيدنا موسى عليه السلام، فعندما ولد كان لقاؤه بالبحر بعد حضن أمه، وعندما فرَّ من فرعون مع بني إسرائيل كان البحر من نقله إلى بر الأمان، ولما توجه تلقاء مدين كان ماء مدين أول من صادفه، وعندما طلب العلم كان مجمع البحرين هو أول علامة للالتقاء بالعبد الصالح(الخضر)، وأثناء الرحلة ركبه على متن سفينة لمساكين، ولا بد أن هذا الحضور المكثف للماء له أهمية تستحق الدراسة والبحث.

وتناولت هذه الدراسة سلطة الدال الرمزي للفضاء المائي (البحر ومتعلقاته) في سورة الكهف، وتحديدا في قصة سيدنا موسى عليه السلام ورحلته في تلقي العلم من الخضر، وربط دال البحر مع خواتيم آيات سورة الكهف، لنتمكن من الوصول إلى المبتغى، وهو الدنو من فائض المعنى عندما ننطلق من الظاهر لنكشف عن حقيقة الوجود عن طريق العلم؛ لأن القرآن صورة الوجود والمعنى.

وكما هو الحال مع الفضاءات المائية (الماء والنهر والبئر والبحر...) في النصوص القرآنية التي تتحدث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام، فلم أجد دراسات

نقدية تتناول مفردة البحر في سورة الكهف، وجلها دراسات سطحية ظلت معها النصوص المقدسة مغلقة لا تحظى بالجديد؛ لأنها لا تجد قارئا منتجا، ومعظم مرتاديها يسترهبون الخوض والتدبر والتحليل، والله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، ومن الحق أن أذكر دراسة لِنجِز(مارتِن)، (الرمزيةُ القرآنيةُ للماءِ)، ترجمة: طارق بن هشام مقبل، تناول فيها الكاتب ما يرمز له الماء من معاني في النص المقدس "القرآن الكريم" بشكل عام، وكانت قريبة من دراستي في بعض الجوانب الرمزية، وقد أفدت من دراسات تناولت مفردة البحر في الشعر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: دراسة (مكانية صورة البحر في الخيال الشعري الفلسطيني المعاصر، مقاربة سيمائية ظاهراتية) لجمال مجناح، حيث تناول حضور البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر ودلالته على الوطن، ودراسة **عزيز العرباوي** (رمزية الماء في التراث الشعري العربي)، والتي خاض الكاتب فيها في الدلالة العميق لرمزية الماء وحيوته في الشعر العربي، كما أفدت من كتب تفسير القرآن الكريم، وربما من يطلع على حواشي الدراسة سيجد مزيدا من المراجع.

وتأسيسا على ما سبق فقد امتازت الدراسة أنها تبحث في دلالة البحر الرمزية في الآيات التي ذكرت تلقي موسى عليه السلام العلم من العبد الصالح، فالدراسة محددة، وما أفدته هو ما تعلق ببعض الجوانب الرمزية، ومنهجية الطرح، والحقيقة أن هذه الدراسة احتفظت بجديتها النقدية في تناول نص مقدس له خصوصيته

واتكأت الدراسة على مناهج التحليل الرمزي ومنها المنهج الرمزي اللغوي، والمنهج الرمزي التأويلي، والمنهج الرمزي التاريخي، لما لها من سعة في التوسع الدلالي، وقدرته على الإنجاز النصي.

هدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تتبع الدال الرمزي للفضاء المائي (البحر) ومتعلقاته، في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، وربط دلالة البحر مع خواتيم سورة الكهف الوارد فيها البحر والذي يحمل الدلالة نفسها، وتوجه الدلالة الرمزية للبحر ومتعلقاته إلى الإشارة إلى العلم، وتهدف الدراسة كذلك إلى إعادة

قراءة الآيات قراءة حديثة محافظة على بقاء الدلالة العلمية للفضاء المائي، وبيان صلاحية النص الديني لكل زمان.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة البحث في وجود الفضاء المائي (البحر، والنهر، والبئر، وغيرها) في الآيات التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام، وهذا الحضور المكثف للماء يبعث على التساؤل عن مدى علاقة هذه المفردة على مجريات القصة وعلى الإنجاز النصي للآيات، فكانت هذه المفردة الدافع نحو تتبعها وامتحان وجودها، فخرجت هذه الدراسة وفقا لهذا الامتحان.

إضاءة معرفية للرمز (Le symbole).

تعود أولى المحاولات لتقديم مفهوم لغوي للرمز إلى أرسطو الذي ميز بين رموز تتعلق بأشياء معنوية نفسية، وأخرى تتعلق بمحسوس، فيقول: الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة [٢]، ولم يبتعد المعجميون عن تعريف أرسطو الحسي فدل عندهم على الإشارة بالشفتين أو العينين، أو الحاجبين، أو اليد والفم واللسان[٣]، وفي كلام العرب: طريق من طرق الدلالة، فقد تصحب الكلام فتساعده على البيان والافصاح؛ لأن حسن الإشارة باليد، أو الرأس من تمام حسن البيان كما يقول الجاحظ [٤].

وأمّا عند النقاد، فالرمز (وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء) [٥]، وهو شيء يعتبر ممثلا لشيء آخر، وبعبارة أكثر تخصيصا، فإن الرمز كلمة أو عبارة، أو تعبير آخر يمتلك مركبا من المعاني المترابطة، وبهذا ينظر إلى الرمز باعتباره يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء يرمز إليه كائن ما كان) [٦].

الرمزية أفق لقراءة النص القرآني.

إن استناد النص القرآني في عملية الفهم والإفهام على لغة التواصل العادية عند العرب لا يلغي الإقرار بوجود أنظمة متوازية، يحيل كل نظام فيه إلى فائض في المعنى خاص به تقره اللغة الرمزية، وهي سمة اللغة الدينية عموما، ومنها اللغة القرآنية، لأن الدين هو حالة من الاهتمام بالمطلق، فلا يمكن للإيمان

أن يعبّر عن نفسه إلاّ بعبارات رمزية فقط، بحيث لا يكتفي التعبير الرمزي بالإشارة إلى ما وراء الذات المعبرة، بل يكون الرمز نفسه بما يختزنه من دلالات عميقة، وإثارات وجدانية شريكا حقيقيا للمرموز إليه ما يعني أن اللغة الدينية لغة الرموز [٧]. ويتوسع الطرح الرمزي حين يُنظر للغة القرآنية بحسب باطنها فهي إلهية وجودية، حروفها وكلماتها، وجودية تنعكس فيها موجودات العالم، وتستمد قوة دلالتها الرحبة من قوة العلم الإلهي وثباته...وكذلك فإن أجزاء العالم هي بمثابة الحروف القرآنية والكلمات والجمل، ولكن بنحو الرمز [٨].

وسنتعرض للآيات القرآنية التي تتحدث عن الرحلة العلمية من ناحيتين: الحكاية، والخطاب، ونحاول الكشف عن بعض القوانين الرمزية التي تسري في ثناياها، لأن الآيات تقدم لنا إمكانيات ثرة في قراءتها، ومستويات متعددة في تأويلها. **وسنشرع بـ**

موقع القصة من السورة وعنوانها.

امتازت سورة الكهف-حدود الدراسة- بالرمزية عندما طرحت أربعَ قصصٍ مختلفة من حيث المضمون، عرضت بأسلوبٍ مكثفٍ ومركز، واختفاءٍ لتفاصيل الإنشاء[٩]، ويشدّ هذه القصص خيطٌ واحد، وهو تمثيل الفتنة بأنواعها: الدين (قصة الفتية)، والمال (أصحاب الجنتين)، والسلطة (ذو القرنين) والعلم (سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح)، ونلمح قصة الشيطان تتمحور بين القصص، لتعلن مسؤوليتها عن إثارة الفتن والشر [١٠].

تقع قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ثالث القصص المطروحة في سورة الكهف بعد قصة الفتية، وقصة أصحاب الجنتين، وقبل قصة ذي القرنين، وجمع هذه القصص سورة معنونة بـ(الكهف)، والسؤال المشروع هنا **ما علاقة عنوان السورة بهذه القصص الأربع؟**

مما لا شك فيه أن خطاب العتبة بات مسيطرا على عملية القراءة، وموجها، يطرح بعض الإشكاليات الجوهرية المتعلقة بمنهجية القراءة واتجاهها، وعندما

نقرأ سورة الكهف، ونحاول دراسة العتبة (الكهف) فإننا نقرأها من خلال المتن النصي والعكس لنتحصل على التدفق التأويلي من الاتجاهين جيئة وذهابا [١١].

يرمي الكهف بدلالته المكانية إلى تجويف داخل جبل يخفي ما بداخله من الوجهة الظاهرية للمعنى، وهو بهذا المعنى يؤدي وظيفة رمزية مهمة يمكن مقاربتها، وتأويلها مع باقي القصص في السورة نفسها، ففي قصة الفتية كان الكهف المكان الذي أخفى داخله الفتية النُوَّام، وفي قصة الجنتين لعبت الجنة(البستان) دور الكهف في إخفاء محتوياتها من زروع وماء، وذلك لأنها محفوفة بالأشجار، ومعنى الجّنة الستر، وحملت جنة الخلد معنى الستر لأن الله سترها عن العباد، وأما في قصة موسىعليه السلام مع الخضر، فكان العلم الغيبي المتجسد في الخضر بمثابة كهف يخفي علمه عن موسىعليه السلام، ويؤخر تفسيره عندما يحين ذلك﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾[الكهف:٧٠] وأما في قصة ذي القرنين، فكانت مشاريعه التنموية والإنسانية مخفية عن الأقوام التي زارها، وأبانها في الوقت المحدد.

وعندما نروم تقارب العنوان رمزيا مع مضمون القصص نجد أن الكهف يمثل قضية البعث والولادة الجديدة بالنسبة للفتية النّوّام كان خروجهم منه بعثا وولادة لدين جديد، كما كانت الجنة الخاوية على عروشها ولادة لشكر النعمة، وعدم الإشراك، ورحلة موسىعليه السلام ولادة جديدة لعلم غيبي جديد، ورحلة ذي القرنين ولادة لشعوب منكوبة سياسيا واقتصاديا. وعلينا قبل الخوض بدراسة الدوال الرمزية للفضاء المائي(البحر) معرفة مجريات قصة موسىعليه السلام مع الخضر. اعتمدت الدراسة على مرجعين في دراسة قصة سيدنا موسىعليه السلام مع الخضر هما: القرآن الكريم، وتحديدا سورة الكهف الآيات (٦٠-٨٢)، ورواية الرسولﷺ له في الحديث الشريف [١٢]، بدأت القصة في مصر حين قام موسىعليه السلام خطيبا في بني إسرائيل، فسُئل: (أيُ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ

إليه) [١٣]، وكان ثمن ذلك تكليفه برحلة وِجْهَتُهَا مجمع البحرين، ومعه رفيق شاب هو (يوشع بن نون)، وحوتا في مكتل(سلة).

ويجتهد موسى عليه السلام في إيجاد (مجمع البجرين)؛ ليلتقي مع الخضر، وقبل الانطلاق يطرح الخضر على موسى عليه السلام التحدي في ألا يسأله عما يفعل، وقام بثلاثة أفعال بدت عنيفة وغير منطقية في ظاهرها، منها: خرق سفينة جديدة لمساكين، ثم قتل غلام من دون ذنب، وبناء جدار ليتيمين في قرية أبت إطعامهم دون أجر، ولكنَّ موسى عليه السلام-وهو ينظر فقط إلى الظاهر (المَشين) لهذه الأفعال- غاضبٌ جدا، بحيث لا يستطيع أن يمتنعَ عن الاحتجاج بشدة في كل مرة، وفي المرة الثالثة يمتنعُ الخضرُ عن السَّماحِ له بِمُصاحَبَتِهِ مُجَدَّدا؛ ولكنه يشرحُ له-قبل أن يفترقا-حقيقةَ أفعالِه، وبالتالي تمنحنا هذه الآيات لمحةً عن خداع المسلك الظاهريّ، وأن الإجراءات المِثالية ليست دائمًا بالضرورة الإجراءات الصحيحة[١٤]، وتوضح في نهاية المطاف صفة موسى عليه السلام الإنسانية باعتباره ليس صبورا [١٥]. وسنقف على دراسة الفضاء المائي (البحر ومتعلقاته) وأثرها في السياق من الناحية الرمزية.

حركة مفردة (البحر) ومتعلقاتها ودلالتها الرمزية في السياق القرآني.

من سمات العربية أن الألفاظ فيها تحيا وتنمو في النصوص، وتتطور دلالتها مع الزمن، وإن دراسة لفظة ما وتتبعها في نصوصها يكشف عن سيرة حياتها ومحطات تطورها [١٦]، ولو تتبعنا حركة مفردة البحر في سورة الكهف، سنجد أنها تكررت بشكل صريح ست مرات في السورة، أربع مرات في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح على النحو التالي: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾[الكهف:٦٠]، و﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾[الكهف:٦١-٦٣]، و﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾[الكهف:٧٩]، ومرتين في

الآية قبل الأخيرة من السورة في قوله تعالى ﴿قلْ لَوْ كَانَ **الْبَحْرُ** مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ **الْبَحْرُ**﴾[الكهف:١٠٩]، ونضيف مرة سابعة عن طريق غمز السياق للبحرين بالضمير الذي تقمص حضور البحر، في قوله: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا**﴾[الكهف:٦١] ، ويبرز التساؤل التالي هل هذا **التكرار يجعلها موتيفا**[١٧] **حيويا مهما في فهم النص، ويؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات، وهل اتجهت الدلالات الرمزية صوب العلم لتكون رافدا لمضمون القصة؟** سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة عن طريق المحاور التالية:

أولا: مجمع البحرين.

إن كلمة(مجمع) تشير إلى الاجتماع، ويشير البحران إلى المثنى، فعبارة (مجمع البحرين) عبارة مشحونة بالدلالة على الكثرة، كما تدل على مكان التقاء بحرين[١٨]، فيجتمع ماؤهما وتختلط العذوبة بالملوحة وهذه الظاهرة الكونية في الطبيعية شكلت علامة بارزة في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، وتكررت مفردة (مجمع) مرتين: الأولى كانت غاية عامة لموسى عليه السلام ﴿**حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**﴾[الكهف:٦٠] حددها الله له؛ ليلتقي عنده بشخص يُدعى الخضر[١٩]، كماورد في الحديث (لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك)[٢٠]، وكرس موسى عليه السلام سعيه لإيجاده، والمرة الثانية ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا**﴾[الكهف:٦١]، أعلنت وصوله للهدف بدقة، وهو مكان التقاء البحرين فناب الضمير عن ذكرهما(بينهما)، وهذا الاختيار القرآني للألفاظ جعلها تنفتح على دلالات رمزية تزيد المعنى قوة ووضوحا، فأحيانا تشترك عناصر لغوية في إنتاج الدلالتين العامة والخاصة للنص، بدءا بالصوت، ومرورا بالبنية الصرفية والتركيب النحوي وانتهاء بالنص كاملا محفوفا بمختلِف القرائن الفاعلة في إنتاج المعنى[٢١].

إن مجمع البحرين أول فضاء مائي قابلنا في السياق القرآني الذي يحكي قصة الرحلة العلمية لموسى عليه السلام وفتاه، وسنحاول تحليل تخير القرآن لعبارة

(مجمع البحرين) وعلاقتها بالعلم، وسنحدد أن (مجمع البحرين) كان مكان التقاء بحرين، ومكان التقاء رجلين عالمين، ومكان التفاوض مع الخضر ليقبل تعليم موسى عليه السلام، والمكان الذي عادت فيه الحياة للحوت، والمكان الذي سيرى موسى عليه السلام من خلاله سعة البحرين وامتدادهما.

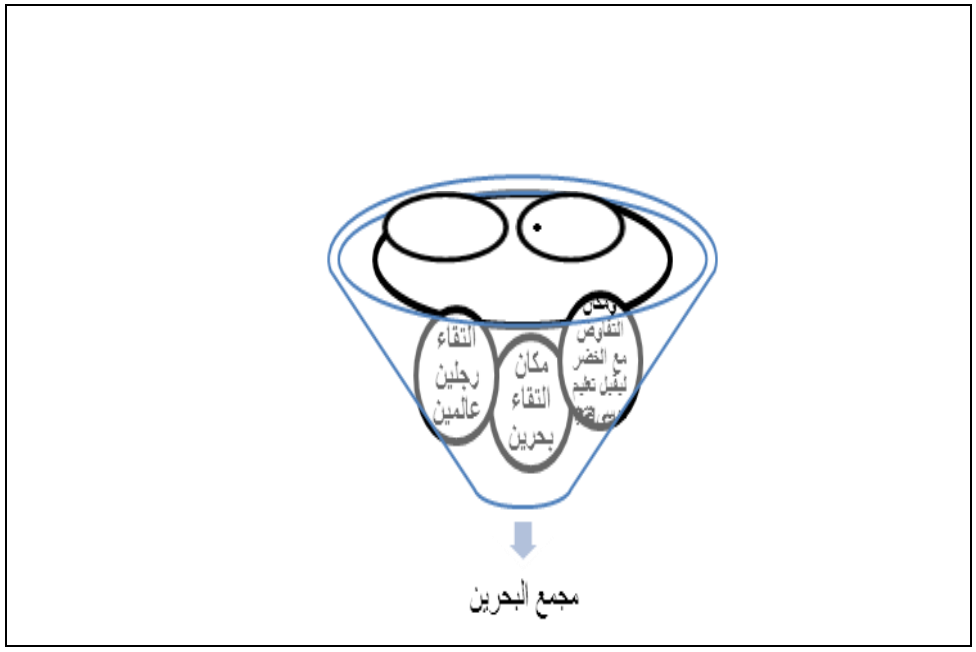

وعندما نعيد النظر في عبارة (مجمع البحرين) نجد أنها تشكل بؤرة رمزية محورية في النص القرآني تنفتح على نوافذ وإشراقات وتجليات لغوية ورمزية تبني علاقات بين الدوال تفصح عن أهمية الفكرة أو الموضوع، لأن الرمز طاقة منتجة تكمن في عملية الاستثارة، والربط بين الدوال ومدلولاتها [٢٢]، والكلمة هي الأسّ الأول الذي يعتمد عليه الخطاب؛ لأنها تؤدي غرضا كلاميا، وبها يتحرك المعنى ضمن حقل دلالي فتصبح ذات تأثير في الإقناع [٢٣]، فالبحر يرمي بدلالته الاستعارية إلى العلم وسعته، والعربية تقول: (فلان بحر في العلم)، وهذه الاستعارة تقود إلى تأويل (مجمع البحرين) من الوجهة الرمزية إلى التقاء علمين: علم الشريعة والعقيدة، أو العلم البشري الظاهر الذي يمتلكه موسى عليه السلام، وعلم

الحقيقة أو الغيب (القضاء والقدر) الذي يمتلكه العبد الصالح(الخضر)، وعندما يجتمع البحران يكتمل العلم، ورمزيةُ لقاء الخضر مع موسىعليه السلام مشابهةٌ لرمزية التِقاءِ البحرينِ، ويحرص موسىعليه السلام على جمع العلمين معا.

ويتميز العلم الغيبي بالقداسة؛ وذلك لأنه ليس كعلمنا القائم على الأسباب، وليس هو علم الأنبياء القائم على الوحي، إنما هو علم من طبيعة غامضة أشد الغموض، علم القَدَر الأعلى، وهذا العلمُ أسدلت عليه الأستار الكثيفة، ومما يدل على ذلك ما ورد في حديث الرسول ﷺ (قال: يا موسى، إني على علم من علم الله، علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه) (٢٤)، وأيد السياق القرآني هذا العلم بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف:٦٥] ، كما أن الحصول علي ذلك العلم ليس أمرا سهلا، فموسىعليه السلام أبدى استعداده ليتحمل أزمانا حتى يصل إليه﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[الكهف:٦٠]، ويحصل على قبول كتلميذ عند الخِضر شرط أن يكون صبورًا على أفعال الخِضر غير النّظامية والمُربِكة، إلى أن يشرحها الخِضر بنفسه له، ولكنه لم يستطع أن يفسر الأحداث أبعد من تفسيرها الظاهر المنطقي (٢٥).

وردفا على ما سبق فإن رمزية البحر تتوسع لتشمل العلم بجانبيه، وتساهم في تخصيب دلالة السياق القرآني الكلي الذي جعل من مفردة البحر دلالة محسوسة هي مكان الالتقاء، ومعنوية رمزية تشير إلى اجتماع علمين مختلفين كما البحرين (العذب والمالح) فشكل البحر علامة رمزية بارزة في القصة (٢٦).

ثانيا: البحر ومتعلقاته المائية.:

عندما نوسع نطاق المساءلة المعرفية لصورة الماء في النص القرآني بوصفها مدخلا مفصليا يسبر أعماق النص، نجد أنها تحول وجهتنا إلى علامات مائية ترتبط بالبحر مولدة للسردية، وقد هدتنا السبيل إلى رصد حركة المعنى في المقاطع

الجزئية، وتركتنا قاب قوسين أو أدنى من المعنى، وانعكست مباشرة على الإرسالية النّصية للسياق (العلم) ومن هذه المتعلقات:

أ.أ- البحر والحوت:

عبَّر السياق القرآني عن السمكة بالحوت، وحمل الحوت شحنة فائضة وطافحة بالدلالة جعلت منه نقطة مائزة في قصة الرحلة العلمية، مكنتنا من أن نقتحمه من مداخل متعددة، لأنه لعب أدوارا مهمة في أحداث القصة، فحين كان الحوت ميتا في مكتل أُخِذَ كغذاء ضمن مؤونة الرحلة، وتنفيذا لأمر الله (قال تأخذ حوتا فتجعله في مكتل) [٢٧]، وفقدانه علامة على وجود الخضر﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف:٦١]، وفي الحديث (حيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ) [٢٨]، ثم يخرق المأنوس ويعود إلى الحياة فور وصوله البحر؛ لأن الله جعل من الماء كل شيء حي ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[الكهف:٦١]، و﴿اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[الكهف:٦٣]، فهو المولود ثانية، والذي أفاق على حياة جديدة، لقد حدث هذا، كما يقول المفسِّرون، من خلال الاتصال بـ(ماء الحياة) بانسراب الحوت ثانيةً في البحر [٢٩].

وتنفتح دلالات الحوت على أفاق كثيرة يمكن أن تشكل دراسة مستقلة، ولكننا سنتوقف على ما يخدم الدراسة من الناحية الرمزية، فالحوت من خلال ما حدث له يرمي بدلالته الرمزية إلى الولادة الجديدة بمجرد أن عاد إلى موطنه المائي(البحر)، وهذا يقودنا إلى القول إن رمزية البحر كلما توغلت وسارت مع النص القرآني لا تتوقف عن تناسل دلالات تشير إلى العلم، والسؤال هنا **ما علاقة الحوت بالعلم؟**

من المعروف أن الحوت(السمكة) يتمتع بالحياة عند وجوده في الماء، ويموت عند خروجه، فهو متأثر بالماء، وينتج عن هذا الأثر الحياة والموت، وحين نتناول الأمر من ناحية أخرى، وبمقاربة رمزية، فإن الحوت يرمز إلى الإنسانية وتعاملها مع العلم، وذكرنا أن البحر يمتطي دال العلم من الوجهة الرمزية؛ وعليه فإن هناك

أواصر قربى بين الدوال الرمزية، فكما أن الماء-بإذن الله- يحيي الموات ويعيد الحياة للإنسانية، فكذلك العلم فهو يقضي على الجهل، فهو يشكل ولادة جديدة ومن شأنه الرفعة، والخروج من معاناة الظلمات (الجهل والموت) إلى النور (ولادة) [٣٠].

وتصحو النفس على فكرة أخرى تدعم علاقة الحوت بالعلم، ولكن هذه الفكرة تستند إلى بعض أقوال المفسرين، وليس عليها إجماع، كما تتغيا هذه الفكرة استحضار نص قرآني آخر أقسم الله فيه بالنون والقلم ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم:١] ، وذهب معظم المفسرين[٣١] إلى أنَّ المراد بقوله(النون) الحوت العظيم على تيار الماء العظيم المحيط، وهو حامل للأرضين السبع، والنون تعني الحوت في العربية [٣٢]، والآرامية، والأشورية، فضلًا عن العبرية، وعليه فإن الحوت والقلم لأهميتهما أقسم الله بهما، وهما من أوائل الخلق والوجود، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم والحوت، قال للقلم: اكتب، قال: ما أكتبُ؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة) ثم قرأ ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ والقلم يشمل الأقلام التي يكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم. ونستطيع من خلال المقبوس القرآني والحديث السابق أن نتبين الدلالة الرمزية لاجتماع الحوت والعلم، فكما أن الحوت يحتاج إلى محيط مائي ليحيا به، فكذلك القلم كي يكتب يحتاج إلى محبرة، والإنسان كي يتعرف إلى الوجود والخالق لابدّ له من العلم، وبالتالي يمثل الفضاء المائي المادة الأساسية للحياة ماديا والعلم معنويا.

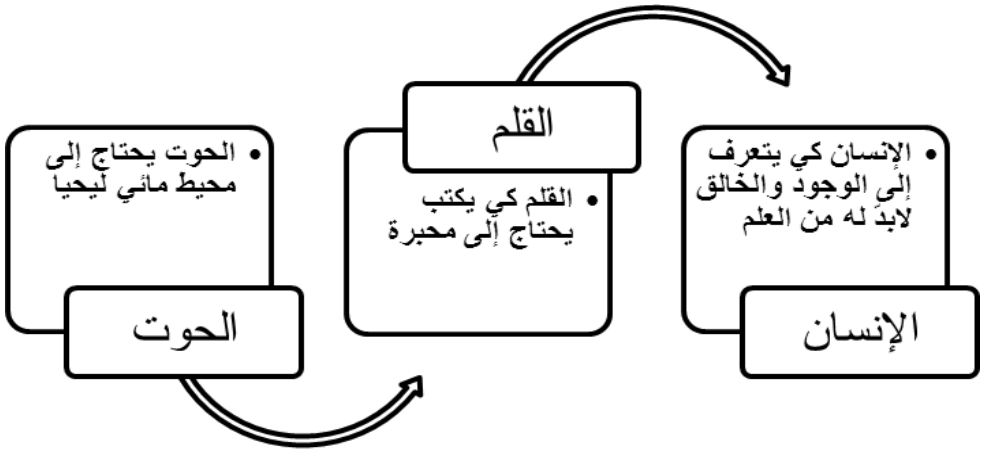

ومن الجميل ذكره أن الحيتان تستغفر للعالم، فعن أبي الدَّرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّه لِيَستغفرُ للعالِم مَن في السماوات، ومَن في الأرض، حتَّى الحيتان في البحر) (٣٣).

ب. البحر ويوشع بن نون.

لم يذكر السياق القرآني يوشع بن النون صريحا، ولكن ذكر مرحلته العمرية (فتى)﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾[الكهف:٦٠]، والخطاب القرآني لم يخصه، بل ذكره مع موسى عليه السلام لتلازمه له بصيغة المثنى، مرة بضمير المتكلم [**آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا، أَوَيْنَا**]، ومرة بضمير الغائب [**بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا، جَاوَزَا، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا، فَوَجَدَا عَبْدًا**]، وهذا الخطاب يدل على عناية موسى عليه السلام بتلميذه، وإشراكه في رحلة العلم، وتهيئته للقيام بمسؤوليات الدعوة، وهداية بني إسرائيل، وهو خطاب يدعونا للالتفات إلى هذا التلميذ (يوشع بن نون) الذي يعود نسبه إلى يوسف عليه السلام، و خليفة موسى عليه السلام حسب التوراة (خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونَ... وَاجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بني اسرائيل) (٣٤)، ووسم(سفر يشوع) باسمه، وذكر المؤرخون أن بيت المقدس فتحت على يديه(٣٥)، وخُص بكرامة حبس الشمس لقول الرسول ﷺ (إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ

عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ) [٣٦].إن هذا التلميذ يمتلك خلفية مائية في اسمه تكمن في اسم والده(نون)، وهذه الخلفية تغني الحصيلة الرمزية للفضاء المائي، وسنمتحن هذا الاسم وعلاقته المائية، لنعرف **هل هو الاسم الحقيقي لوالد يوشع؟ أم أنه لقب؟ وإذا كان لقبا فما علاقته بالحوت الذي عادت له الحياة؟ وما علاقته بالعلم؟**

حسب نص العهد القديم [٣٧]، والمدراش [٣٨]، ومفسري القرآن أن النون هو رجل(اسم والد يوشع)، وأن اسمه كاسم الحوت، وذكرنا أن النون تعني الحوت في العربية [٣٩]، والآرامية، والأشورية، فضلًا عن العبرية، وهناك رواية أسطورية تذكر أن يوشع ابتلعه نون "حوت" ثم لفظه، ونشأ جاهلا بأصله[٤٠]، والسياق القرآني يذكر الفتى أنه مسؤول عن الحوت (الغذاء) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى **لِفَتَاهُ** لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا* فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا **حُوتَهُمَا** فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا* فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ **لِفَتَاهُ** آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا *قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ **الْحُوتَ**﴾[الكهف: ٦٠-٦٢].

فالنون هو (الحوت الذي نسيه فتى موسىعليه السلام عند الصخرة) نَسِيَا حُوتَهُمَا / نَسِيتُ الْحُوتَ)، ومن الممكن أن قدماء بني إسرائيل علموا ذلك الخبر، فلقبوا فتى موسى بلقب (ابن الحوت) أو كما كان معروفا بلسانهم (ابن نون) [٤١]، وهو اسم للحوت أو "السمك" بعامة، مما يُشعِرنا بأن أصل يوشع يرتد إلى أعماق المياه [٤٢]. ومن جهة أخرى تذكر ليلى أبو المجد أن يوشع يحمل لقبًا مصريًا (نون) وليس له مثيل في العهد القديم كله، كما يحمل موروثًا دينيًا مصريًا يعود إلى بداية الخلق، أن العالم قبل وجود الآلهة كان عبارة عن محيط أزلي لا نهائي من المياه أطلق عليه "نون"، ومن هذا المحيط ظهرت روح "الإله أتوم" الإله الأزلي الخالق إله الشمس، وهذه المعرفة مكنته من فهم جوهر الرسالة التي كلف الله موسىعليه السلام

بها، ولذلك كان وجوده بجوار موسى عليه السلام ضروريًا للديانة الموسوية، ولذلك ارتبط يوشع بن نون بموسى منذ الصغر ولم يفارقه [٤٣].

ولا نستغرب الخلفية المائية لبعض الأسماء، فقد لقب القرآن سيدنا يونس عليه السلام بذي النون و(صاحب الحوت)، لأن النون ابتلعه ولفظه، وعندما نبحث في اسم معنى موسى عليه السلام نجد أنه مكون من مقطعين (مو) وتعني الماء بالعبرانية والفارسية، وتجمع على معناه جميع المصادر و(شى) اختلف على معناها منهم من قال (الشجر) لأنه وجد عند الشجر على أطراف الماء [٤٤]، وبعضهم قال تعني الملتقط أو المنتشل فيكون اسمه الملتقط من الماء، أو الجذب لأنه جذب من الماء [٤٥]. وقيل تعني (ابن، أو ولد) تعني ابن الماء، ومن ينظر في تفسير الاسم يجد أن الدلالة المعجمية استعانت بالدلالة الرمزية للاسم.

وانتشر أمر الأسماء أو الألقاب المائية ومنها حي بن يقظان الكائن الأرضي المائي، ولقب العالم المصري ثوبان بن إبراهيم بذي النون تبركا بالنبي يونس عليه السلام، وإلى كرامة من كراماته التي تُروى عنه، وذلك أنه قال: إن امرأة قد جاءتني فقالت: إن ابنى أخذه التمساح، فلما رأيت حرقتها على ولدها أتيت النيل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج إلىَّ، فشققت عن جوفه، فأخرجت ابنها حيًا صحيحًا، فأخذته ومضت، وقد سمي بذي النون وليس بذي التمساح لجامع البحر بينهما [٤٦]، فالرموز ليست مرادة لأنفسها، وإنما هي مرادة لما رمزت له، ولما أُلْغز فيها، ومواضعها [٤٧].

ومما سبق نجد أن العلامة المائية (النون) في اسم الفتى يوشع بن النون تدخل في إضفاء دلالتها الرمزية على الاسم، وتنهل هذه الرمزية من مجريات الأحداث، فيوشع من الوجهة الرمزية ابن العلم وطالبه الذي يحيا بهذا العلم فحقق انتصارات في المستقبل ومنها فتح بيت المقدس، وصار نبيا بعد موسى عليه السلام، ولولا العلم ما اصطفي لهذه المهام، فهو كالحوت الذي يحتاج إلى الماء ليحيا.

وعليه، فإن متعلقات البحر ظلت حاضرة في الشخوص والأحداث، وظلت ترمي بظلالها الرمزية على العلم، وسبل الحصول عليه، وهكذا تحظى كثير من الكلمات برموز عالية الدلالة، لأن الرمز يجمع بين بعدين أحدهما لغوي، والآخر في مرتبة غير لغوية... ونحن نتحدث عن رموز مزدوجة المعنى، أو رموز ذات معان أوائل، ومعان ثوان، فنحن لا نرى في الرمز دلالته الأولية، بل دلالته الثانوية التي هي الوسيلة الجيدة للدنو من (فائض المعنى)، أو (معنى المعنى)[٤٨].

ج. البحر والملاحة.

لم تخرج كلمة البحر-من حيث حدودها المعجمية-عن ذلك المسطح المائي المتميز بغزارة مياهه، واتساع حدوده المكانية، وأنه وسيلة لتنشيط الملاحة في قوله تعالى﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي **الْبَحْرِ** فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف:٧٩]، ولكنه استفاد من دلالته المعجمية لينطلق إلى آفاق رمزية تسترفد الدوال العامة للقصة، فمن المعلوم أن البحر يرمز إلى الرحلة في طريق الحياة [٤٩]، وعن طريقه يتعلم الإنسان، ويكتشف أسرار هذا الوجود، وفي السياق القرآني كان البحر بداية الطريق للرحلة العلمية، وموسىعليه السلام يعرف البحر ويألفه، ولو كان موسىعليه السلام يجهله لاجتمع عليه أمر ركوب البحر، وغموض خرق الخضر للسفينة.

بالإضافة إلى ذلك حظيت مفردة البحر بدلالة رمزية استعارية انبثقت من دلالته المعجمية على الاتساع والعمق، فصلح أن يكون معادلا موضوعيا للعلم وذلك بمقاربة رمزية نستفيدها من حديث الرسول ﷺ عن رحلة موسىعليه السلام مع الخضر أنهما لما (ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر) [٥٠] ، فصلح البحر أن يكون مادة للعلم عن طريق إغناء حصيلته الرمزية، وصار للمفردة القرآنية دلالة إعجازية خاصة عندما يتشابك فيه الشكل مع المضمون في سياق تركيبي مقصود،

فهناك مجاز في تخير اللفظ وانتقاء الكلمة، وما ينعكس ذلك على البنية والمعنى بشكل يتلاءم مع المراد الإلهي في النص القرآني [٥١].

ومما سبق نجد أن الفضاء المائي (البحر، ومتعلقاته) يساهم في البناء النصي القرآني، ويشارك في مضمونيته عبر داليته الرمزية التي تسعى إلى فائض المعنى عن طريق سبر أعماق الدلالة، فنجد أن البحر ومتعلقاته يشيران إلى العلم في سياق قرآني يتحدث عن الرحلة في طلب العلم، ومن الجدير بالإلماع أن الرحلة بدأت بالالتقاء عند البحر، وانطلقت أولى دروسها العلمية عن طريق البحر، وانتهت بعودة موسى إلى مصر عن طريق البحر فطالت قامته الدلالية.

البحر مفردة رمزية في سورة الكهف.

البحر مخلوق هائل، ومن أكبر المخلوقات على هذا الكوكب، والمسطح المائي الجبار الذي يميز كوكب الأرض عن غيره، ويعطيه من الفضاء لونه الأزرق البديع، والبحر أوسع ما يعرفه البشر وأغزره، هذه الدلالة لمفردة البحر صلحت لأن تكون مثلا يضربه الله لسعة علمه تقريبًا لذهن الإنسان حتى يقرب إلى الغائب بالمحسوس المشاهد ففي قوله تعالى﴿قُلْ لَوْ كَانَ **الْبَحْرُ** مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ **الْبَحْرُ** قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩] ، مثل مائي ضربه الله، واختار مفردة البحر لأنه أوسع ماءٍ تقع عليه عين البصر والإدراك عند الإنسان[٥٢]، وهي لفظة فيها من الدلائل والإيحاءات ما يجعلها أثيرة في السياق القرآني.

إن البشر يكتبون بالمداد، ويسجلون به علمهم الذي يعتقدون أنه غزير، والسياق يعرض لهم البحر بسعته وغزارته في صورة مداد يكتبون به كلمات الله الدالة على علمه، فإذا البحر ينفد، وكلمات الله لا تنفد، ثم إذا هو يمدهم ببحر آخر مثله، فإذا البحر الآخر ينفد كذلك، وكلمات الله تنتظر المداد، والبحر في هذا المثال يمثل علم الإنسان الذي يظنه واسعًا غزيرا وهو على سعته وغزارته محدود، وكلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لا حدود له، والذي لا يدرك البشر نهايته [٥٣]،

إن كلمات الله لها دلالة ذاتية(أصيلة)؛ لأنها تستند في دلالتها إلى أعيانها الثابتة، فدلالتها دلالة كائنة فيها كينونة أصالة [٥٤].

وقد انتخب النص القرآني ظاهرة (البحر)، ولم ينتخب مجرد الماء، فقد ورد البحر كمادة سائلة تتناسب مع عملية الكتابة، بالإضافة إلى كونه ذا مادة غزيرة غير قابلة للإحصاء، أو الكيل في قوله تعالى﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[لقمان:٢٧]، وفي سورة الكهف ما يشير إلى ذلك﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩]، وفي الآيتين جاء ذكر كلمات الله أنها تزيد على سعة البحر وغزارته كما أن (الكلمات) في حد ذاتها ترمز الى مطلق الدلالات؛ لأن الكلمة أو اللفظة هي إشارة للمعاني، فعندما ينتخب النص القرآني الكريم صورة (الكلمات) فإن انتخاب هذه الصورة يقترن أولا بكون (الكلمة) مطلقا رمزا وإشارة للمعاني، وبكونها ثانيا ترمز من خلال غنى إيحاءاتها إلى ما هو معطى، وليس مطلق الكلمات التي تجسد وعاء لمختلف الدلالات[٥٥]، وبالتالي اتسعت دلالة البحر من خلال السياق القرآني، وليس للفظة في حال انفرادها مزية أو فضل، وإن دخول اللفظة السياق هو الذي يضع التناسق الدلالي، واللفظ تبع للمعنى بحسب ترتبه بالنفس، والمعنى معنيان الأول دلالة اللفظ، والثاني معنى المعنى [٥٦]. وعليه فقد ارتبط العلم بالماء بشكل عام، والبحر بشكل خاص، وبذلك يلح علينا سؤال مهم: **ما العلاقة بين الماء والعلم؟** وسنجيب على هذا التساؤل بطرح المحاور التالية:

أ. الماء والعلم حياة ورحمة.

عندما كانت هناك رحلات استكشافية إلى الفضاء كان في مقدمة أهداف هذه الرحلات العثور على الماء في الفضاء الخارجي، منذ نهاية خمسينات القرن الماضي، وذلك لأن العثور على الماء يعني العثور على كائنات أخرى على هذه الكواكب، إذ يعتبر العلماء الماء جهاز إنذار مبكر حيث إنه يكشف وجود الحياة في

أي بقعة، كما أنه أيضا من الممكن أن يصبح دليلا على اضطراب الحياة [٥٧].
وبالتالي فإن سر الحياة سرى في الماء، فهو أصل العناصر والأركان؛ ولذلك جعل اللهُ (مِن الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حيّ)، وما ثمّ شيء إلا وهو حيٌّ، فإنه ما من شيء إلا وهو يسبح بِحَمْد الله ولكن لا نَفْقَهُ تسبيحَهُ إلا بكشف إلهيّ، ولا يُسَبِحُ إلا حَيّ، فكل شيء حي، وكلُ شيءٍ الماءُ أصلُه [٥٨].

ومن الجميل بالذكر أن الله هيأ لموسى عليه السلام معلما حاز على صفتين هما الرحمة والعلم ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وأشار مارتن لنجز في دراسته (الرمزية القرآنية للماء) إلى أن فكرتي الرحمة والماء مترابطتان في القرآن من وجه، وإن الماء خزائن ينزله الله على العباد، والرحمة والعلم هي خزائن، وتنزل على العباد من الله، وإنه لَمِن الواضح أن هذه الخزائن ليست أقلَّ من المصدر الأعلى للرحمة نفسِه﴿الرحمن علم القرآن﴾[الرحمن:٢]، فالماءُ رمزٌ **للعلم**، كما أنه رمزٌ **للرحمة**[٥٩].

ومن الملاحظ أن العرب استعارت البحر لتنظيم خيالهم الإبداعي في مصطلح "البحران" دلالة على النظم والنثر، وللتعبير بصفة خاصة عن العروض، أي "بحور الشعر" التي ضبطوا بها مخيلتهم الشعريّة [٦٠]، وظلت عبارة (مجمع البحرين) تقرع الجرس لمرتاديها من العلماء، وثمة مجيب، فاليازجي الذي اعترف أن كتابه(مجمع البحرين) مقتبس من النص القرآني: (حتى أبلغ مجمع البحرين)، والطريحي سمى كتابه(مجمع البحرين ومطلع النيرين) والسيوطي(مجمع البحرين، ومطلع البدرين) والهيثمي (مجمع البحرين في زوائد المعجمين المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني) والصغاني(مجمع البحرين)، والساعاتي(مجمع البحرين وملتقى النيرين) وغيرها.

أ.الماء والعلم مقدسان:

أثبتتْ أحاديث كثيرة أن الماء والقلم من أوائل خلق الله [٦١]، وذكر القرطبي في تفسيره أن خلق العرش والماء قبل خلق الأرض والسماء قال كعب: (خلق الله

ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى، فلذلك يرتعد الماء إلى الله وإن كان ساكنًا ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء [٦٢]، فيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض [٦٣]، وأقسم الله بالقلم ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم:١]، وحث على القراءة في قوله تعالى﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:٥-١]، فارتباط العلم والماء بالمقدس يجعلهما مقدسين، فكيف إذا امتطى الماء دلالة رمزية تقوده إلى العلم، عندئذ تفيض الدلالة بالمقدس.

وحين نعود إلى قصة موسىعليه السلام والعبد الصالح، نلمح -بتقارب رمزي- تخير السياق القرآني لعبارة (مجمع البحرين) التي أولناها رمزيا بالتقاء علمين، ونبيين، أحدهما، يحمل علما غيبيا علويا﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]، والآخر، يحمل علم الكتاب والوحي ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[البقرة:٥٣]. ومن جهة أخرى، فقد رفع الله تعالى من مكانة الكلمة في كتابه العزيز، وأسبغ عليها من الشرف والسمو، فقربها من ذاته القدسية [٦٤]، وتخير لها مقدسا وهو الماء، كما في قوله﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[الكهف:١٠٩].

ج. العلم والماء يشكلان صورة فنية في الأمثال:

وظفت النصوص المقدسة صور الطبيعة الحسية، ومنها الفضاء المائي بصوره المتعددة في مجال الأمثال لما لها من دلالات متضمنة فيها، وبوصفها تمثل أيقونة رمزية، وشفرات تتحقق في بنيتها الفردية والكلية الصورة الرمزية للمثل ومغزاه العام، وذلك بالاستعانة بما توفر من تخريجات رمزية أشارت إليها كتب التفسير البيانية، كما حمل الفضاء المائي أبعادا فنية وجمالية لا تضاهى، وترسم للمتلقي لوحة من عوالم الحس يجول فيها فكره وخاطره وقلبه [٦٥].

فقد حضر الماء ممثلا للعلم في الحديث، فعن أَبِي موسَى الأشعريّ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ ما بعثَنِي اللهُ به مِنَ الهدَى والعلمِ كمَثلِ غيثٍ أصابَ أرْضًا فكانت منها طائفةٌ طيّبةٌ، قبِلتْ الماءَ فأنْبتَتْ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكان منها أجادِبُ أمسَكتِ الماءَ، فنفَعَ اللهُ بها النَّاسَ فشَربوا منها وسَقَوا وزَرَعُوا، وأصَابَ طائِفة منَّا أخرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمسِك ماءً ولا تُنبِتُ كلًا. فذلك مثل مَنْ فقِه في دينِ اللهِ، ونفَعه بما بعثني اللهُ به، فعَلِمَ وعَلَّم، ومثل مَنْ لم يَرفَعْ بذلك رأسًا، ولم يقبلْ هُدَى اللهِ الَّذي أُرْسِلتُ بِهِ) [٦٦]. ورد في القرآن الكريم أمثلة مائية كثيرة، حملت خصائص أتى عليها الميداني في دراسته لآية احتملت مثلا مائيا، ومن هذه الخصائص: صدق المماثلة بين المثل والممثل له، والبناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له، ودقة التصوير برفع العناصر المهمة من الصورة التمثيلية وإبرازها، والتصوير المتحرك الحي الذي يبرز فيه المشاعر النفسية [٦٧].

وفي سورة الكهف برز البحر في صورة المثل لما امتاز به من مرونة وخصوبة في الحقل الدلالي والمعجمي. يقول صاحب القاموس المحيط:(سُمي البحر بذلك لعمقه واتساعه، وسُمي بحرًا لملوحته...وإنما سُمي بحرًا لسعته وانبساطه)[٦٨]، ومن المجاز استبحر المكان: اتسع، وصار كالبحر في سعته، وتبحّر في العلم واستبحر فيه، واستبحر الخطيب: اتسع له القول[٦٩]، وأرجع ابن فارس أغلب مفردات البحر المتشابهة والمجازية والمختلفة والمتناقضة أحيانا إلى أصلين هما الاتساع والداء، وهما يرجعان بمعناهما إلى البحر وصفاته[٧٠]، وتلاقى البحر بذلك مع العلم لاشتراكهما في السعة، فقد كان يقال لابن عباس الحبر والبحر لعلمه[٧١]، وفي سورة الكهف اتخذ الله مثلا مائيا يضربه لسعة علمه تقريبًا لذهن الإنسان حتى يقرب إلى الغائب بالمحسوس المشاهد كما في قوله تعالى﴿قُلْ لَوْ كَانَ **الْبَحْرُ** مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ **الْبَحْرُ** قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩]، فهناك مطابقة من خلال صفات الماء، أو أي صورة من صوره لما يضرب به المثل، وبدون ذكر الماء لا تتضح الصورة [٧٢]، يقول رمضان

عبد التواب(تتوزع اللغة مجموعة من الأنظمة تبدأ بالنظام الصوتي... وتمر بالكلمات من حيث بناؤها ودلالتها على المعاني المختلفة في أذهان الجماعة اللغوية التي تستخدمها، وتنتهي ببناء الجملة، ووظيفة الكلمات في داخل الجمل وعلاقة بعضها ببعض، وغير ذلك) [٧٣]. وعليه فقد أدت رحابة البحر إلى رحابة حضوره في تشكيل المثل؛ لأنها مفردة تمتطي حقولا معجمية تتلاقى مع الحقول الدلالية للعلم، ومن هنا طالت قامة البحر الدّلاليّة، فأحيانا تحمل الكلمة في نفسها علامة استخدامها، والتعبير عن قيمتها الصرفية، فلها بنفسها كمال لا يدع الحاجة ماسة إلى شيء [٧٤].

مقروئية [٧٥] العلم في رحلة موسى عليه السلام مع الخضر.

انطلق سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح؛ ليتلقى علما من الله بغير أسباب التلقي، ومع منزلة موسى عليه السلام إلا أنه اجتهد في الحصول على قبول من الخضر بشروط عدم سؤاله حتى يوضح له، ويشير ذلك أن من يطلب العلم يحتاج إلى مجاهدة وصبر واجتهاد، ثم يحدث ثلاثة مواقف هي: خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، وهذه المواقف أثارت دهشة موسى عليه السلام؛ لأنه استعد ليتعلم بطريقة مألوفة، ففوجئ بكوارث، وجرائم تحدث أمامه، ويُطلب منه الصمت، ولكن تبددت دهشته عندما فسر له العبد حقيقة هذه المواقف.

وعندما نعيد قراءة قصة موسى عليه السلام مع الخضر قراءة عصرية مستفيدين من انفتاحها على دلالات رمزية رحبة، نلفيها تحمل رؤى جديدة في الوصول إلى حقيقة البحث العلمي، ولا بد من التوضيح حتى لا تبقى الفكرة عالقة، فعندما يروم الباحث في أي زمان دراسة نظرية- تنتمي إلى أي حقل علمي- فإنه يلجأ إلى طريقة من ثلاث طرق: خرق النظرية وإعابتها، أو إبطال النظرية وزوالها بالحجة والبراهين، أو إعادة بناء نظرية أوشكت على الفناء، وهذه السبل الثلاث تمثل **دعائم البحث العلمي:**

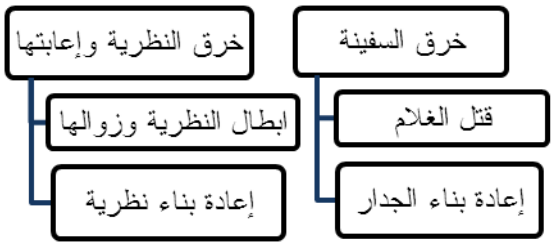

ولا بد من مثال يوضح ما نذهب إليه: لو أراد باحث أن يدرس تفسير ظاهرة التخلق الشعري أو العملية الإبداعية الشعرية، فلا بد له من **خرق الرأي القائل** إن مردها إلى محاكاة أسطورة ربة الشّعر، أو أسطورة جن وشياطين الشّعراء، وبيان عيوبها من أنها تهضم الشاعر إبداعه، وقد يحوجه الأمر أن **ينسف هذا الرأي ويقتله** عندما يأتي بجميع الآراء، ويفندها واحدة تلو الأخرى بالطريقة العلمية، ويخرج بأنها لا تفسر الإلهام والإبداع عند الشاعر، فهذا كفيل بفناء هذه الأسطورة، وإحلال حقيقية علمية محلها عن طريق **إعادة تفسير علمي** لظاهرة التخلق الشعري وفق أدلة علمية.

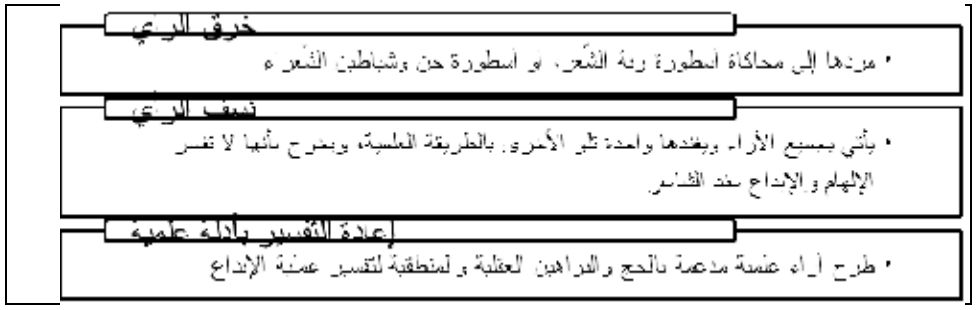

دعائم البحث العلمي:

من هنا يبقى القرآن الكريم معجزة عقلية تساير الأزمنة ومراعية لحال المخاطب في كل عصر لذا تميزت عباراته بالتكثيف الدلالي والحضور البلاغي والقصدية التي لا تنفصل عن عقل المتلقي[٧٦]. ولعل في اجتهادي ذلك أني لم أقع في مظلمة لا قاضي لها، وأسأل الله أن يشملني قوله تعالى﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، فهي من تمنحنا ممارسة الاجتهاد، وتحيط هذا الاجتهاد بسياج من الترغيب، ومن الله التوفيق.

خاتمة:

طرحنا في الصفحات القليلة السابقة دور الفضاء المائي (البحر ومتعلقاته) في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح بشكل خاص، وسورة الكهف بشكل عام، وتبين أنها تشكل موتيفا رمزيا يحمل دلالات وثيقة الصلة في تشكيل صورة العلم بأشكاله بما توحي به من معاني الحياة، والارتواء الحسّيّ والروحيّ، وأسباب الخصب والتجدد.

وبعد الغوص في عناصر قصة موسى عليه السلام والخضر تبين أن الفضاء المائي(البحر) يشكّل مساحة مضيئة في الذاكرة الإنسانية، فالبحر حافظة للحكايات التي يرويها الأجداد للأحفاد عن تفاصيل المعاناة التي ما زالت بصماتها ماثلة في وجدانهم، كما حيكت حوله أساطير وحكايات شعبية مزجت بين الخيال والواقع، وكونت المصادر الأولى لمعرفة تاريخ وجغرافية الإنسانية في فجر التاريخ (٧٧).

إن مفردة البحر في السياق القرآني لقصة موسى عليه السلام والخضر لم يحدث لها انزياحٌ عن مدلولها الذي وضعت له (المعنى المعجمي)، وإنما انطلقت منه في اتخاذ دلالات رمزية في مختلف مستويات الخطاب، وسعى السياق في الكشف عنها؛ لأن المفردة لا معنى لها بمفردها، فالسياق الذي ترد فيه، والحقل الدلالي لها يكشفان عن المعنى المراد داخل النص، والحقل الدلالي لمفردة ما هو ما تمثله كل المفردات التي لها علاقة ما بتلك المفردة (٧٨).

كما أن المفردة تستمد جزءًا آخر من دلالتها من علاقتها الشبكية النظامية مع مجموع المفردات الأخرى التي تشكل معها حقلًا أو مجالًا دلاليًا (٧٩)، وبالتالي فإن الدلالة الرمزية لم تلغِ الدلالة المعجمية بل بنت عليها، ولم تشكل مفردة البحر عقبة لغوية وثقافية في سبيل فهمها، بل أدت رحابة البحر إلى رحابة حضورها،

وبرزت مشحونة بالمعنى، ومتدفقة بالدلالة، وصلحت هذه المفردة لانتخابها لتمثل صورة العلم.

لم تكن رحلة موسى عليه السلام في طلب العلم تجربة ذاتية وخاصة، بل كانت تجربة روحية علوية ترتبط بأبعاد وجودية ومصيرية، وتثبت أن العلم لا يكتمل إلا بمعرفة جميع جوانبه، كما أن الحياة مليئة بالأحداث وعليه أن يتعامل مع حقائقها وليس ظواهرها؛ ليصل إلى درجة الإنسان المؤمن بالقضاء والقدر فلا يتجهم قلبه لمصائبه أو مصائب غيره ويعلم أن هناك رحمة ولطفا وخيرا مختبئا وراءها؛ لأنه تعلم من تجربة موسى عليه السلام الباطنية والكفاحية وأحياها في واقعه، وينطبق عليه القول المأثور: (إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيّون والشهداء بقربهم)كما تطمئن نفسه أنه ضمن حديث الرسول ﷺ بقوله: (عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له)، وهي إطلالة تشف عن رغبة تقترن بالارتقاء والسّمو تضارع القداسة.

الهوامش:

(١) انظر: أحمد محمد عطية، **أدب البحر**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م، ص٦.

(٢) انظر: Brice parain: Recherche's sur la Nature et la Fonction du Language p.49-52.

(٣) انظر: محمد بن مكرم بن منظور(توفي٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٩٣م، (ط٣)، مادة(رمز). ومحمد بن يعقوب الفيروز أبادي (توفي ٨١٧هـ/١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م، (ط٨)، مادة(رمز).

(٤) انظر:الجاحظ، عمرو بن بحر(توفي ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل للنشر،١٩٩٥م، ج١،ص٧٠.

(٥)سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م(ط١)، ص١٠١-١٠٢.

(٦) انظر: إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، تونس، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٦م، ص١٧١.

(٧)انظر: وجيه قانصو، **النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي**، بيروت، دار الفارابي، ٢٠١١م(ط١)، ص٢٦٨. وانظر: باب العياط نور الدين، **النص القرآني دراسة بنيوية**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٥م، ص٧٥

(٨) انظر: علي أمير جابر، **فلسفة التأويل**، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٤م(ط١)، ص٥١٦-٥١٧.

(٩)انظر: محمد الشحات، **التكثيف والتركيز في القصة القرآنية**، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد٥٦٠، ٢٠١١م، ص٦٠.

(١٠) انظر: سماح السميرات، **تساوق الحركة والسكون في سورة الكهف، قصة أصحاب الكهف أنموذجا**، منشور ضمن كتاب (الدراسات البيانية القرآنية المعاصرة، نحو رؤية جديدة، تأليف نخبة من الباحثين، اشراف سميرة شاذلي، عمان، الأردن، دار المعتز، ٢٠٢١م(ط١)، ص١٩٩-٢١٥.

(١١) انظر: عامر الحلواني، **على عتباتها تُبنى النّصوص**، تونس، دار نهى للطباعة، ٢٠١٢م(ط١)، ص٨

(١٢)البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه...)، حديث رقم (٤٧٢٥). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم (٢٣٨٠).

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤)انظر: مارتن لِنجِز، **الرمزيةُ القرآنيةُ للماءِ**، ترجمة: طارق بن هشام مقبل، منصة معنى، 9 أبريل، ٢٠٢٠، https://mana.net/water-symbolism، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢١/٨/٦م.

(١٥) انظر: روجر ألن، **القرآن الكريم: نص مقدس، وضابط ثقافي**، ترجمة عبد الله عياش، مجلة أفكار، الأردن، العدد ٣٠٢، آذار ٢٠١٤م، ص١٢.

(١٦) انظر: محمد المبارك، **فقه اللغة وخصائص العربية**، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٥م(ط٦)، ص٢٤١.

(١٧)تُعرّف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل (البنية .. إلخ) أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي. انظر: حسن الشامي، م**فاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي**، مجلة الخطاب الثقافي– دراسات، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الثاني، ٢٠٠٧م، ص٢٩.

(١٨) اختلف العلماء في تحديد مكان (مجمع البحرين) منهم من قال (بحر فارس، وبحر الروم" البحر الأبيض")، ومنهم (بحر الروم" البحر الأبيض"، والقلزم "البحر الأحمر).

(١٩) يذكره القرآن العبد الصالح (وجدا عبدا من عبادنا) وذكر اسمه الرسول عليه السلام (الخضر)، واختلف المفسرون في كونه نبيّاً، أو عبداً صالحا، أو ولياً من أولياء الله.

(٢٠) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه...)، حديث رقم (٤٧٢٥). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم (٢٣٨٠).

(٢١)انظر: إبراهيم سليمان، **العناصر الفاعلة في إنتاج المعنى**، مجلة كلية أصول الدين بجامعة رجب طيب أردوغان، ع٨، ٢٠١٥م، ص٩٣.

(٢٢)انظر: علي جعفر العلاق، **في حداثة النص الشعري**، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٣م(ط١)، ص٤٥.

(٢٣) انظر: علي الفياض، **حركة الكلمة في النص القرآني (الماء أنموذجا) دراسة تفسيرية**، أطروحة ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م، ص١٢

(٢٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه...)، حديث رقم (٤٧٢٥). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم (٢٣٨٠).

(٢٥)انظر: عماد عبد يحيى، **البنى والدلالات في لغة القصص القرآني: دراسة فنية**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص ٢٩٧.

(٢٦) انظر: فتحي العبادسة، **الماء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، أطروحة ماجستير، الجامعة الإسلامية . ٢٠٠٢م، ص١٤٧

(٢٧) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه...)، حديث رقم (٤٧٢٥). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم (٢٣٨٠).

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩)انظر: كارل غوستاف يونغ، **رمزية التحول في سورة الكهف موجز في الخيمياء القديمة**، ترجمة: نهاد خياطة، نادي الفكر العربي، /٢٠٠٧/٤م، http://nadyalfikr.com/showthread.php?tid=9817، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢١/٩/٦م.

(٣٠)انظر: رونيه كينون، **أسرار حرف النون**، ترجمة فاطمة صبري، ٢٠١٠/٦/٩م-mawat jadidah.org/articles/mysteries_of_the_letter_nun_guenon تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢١/٩/٩م.

(٣١) ومن المفسرين: ابن كثير، والبغوي، القرطبي، والطبري

(٣٢)انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "نون"

(٣٣) ابن ماجه، **صحيح سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٧م، الرقم١٩٧.

(٣٤)سفر العدد الإصحاح ٢٧

(٣٥) انظر: إسماعيل بن كثير(توفي٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: محيي الدين ديب، بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٢م، ج١، ص٣٠١، ص٣٥٩.

(٣٦) مسلم، **صحيح مسلم**، باب (الشمس لم تحبس...)، رقم الحديث (8315)

(٣٧)سفر أخبار الأيام الأول: ٧: ٢٠، وبنو أفرايم ٧: ٢٧

(٣٨)المدراش بالعبرية (מדרש) هي سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ بتنظيم وتقسيم مختلفين ويوجد بعض من أجزاء من المدراش في التلمود، ذكر المراش أن الذي اسمه كاسم الحوت (أي: نون والد هوشع) سيجمع ابنه بني اسرائيل. انظر: المدراش: ١/١.

(٣٩)انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "نون"

(٤٠)تقول الأسطورة أن والدي يهوشع كانا في غاية الورع، ولم ينعما بالأطفال. وبعد توسلات وصلوات حملت زوجة نون. وبدلا من أن يبتهج نون ظل يبكي جراء رؤيا جاءته من السماء أن ولده سيقطع رأسه. وللحيلولة دون حدوث ذلك، قامت الوالدة بالتخلص منه فور ولادته. وابتلع الحوت الرضيع، وبعد حين قطع رأس والده فنفذ ما كان مكتوباً عليه. انظر: The Legends of the Jews, by Louis Ginzberg:I. JOSHUA. Vol.pp17-117

(٤١)انظر: حامد العوالقي، **ابن نون**، http://www.mbtda.com/alqab/binnoon.php، نشوء البيان، دراسات قرآنية لغوية تاريخية آثاريه، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢١/٩/٩م.

(٤٢)انظر: كارل غوستاف يونغ، **رمزية التحول في سورة الكهف موجز في الخيمياء القديمة**، ترجمة: نهاد خياطة، نادي الفكر العربي، /٢٠٠٧/٤م، http://nadyalfikr.com/showthread.php?tid=9817 ، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢١/٩/٦م

(٤٣) انظر: ليلى أبو المجد، **علاقة مصر الفرعونية بالديانة الموسوية، يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام**، صحيفة الوفد، الأربعاء،٢٠١٧م، https://alwafd.news/essay/21553، تاريخ الاسترجاع: ٢٠١٢/٩/٩م.

(٤٤) انظر: المطهر المقدسي، **البدء والتاريخ**، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ج٣، ص٨٤. ومحمد الزبيدي (توفي ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **تاج العروس**، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية،١٩٦٥م، ج١٦، ص٥٢٤. وخليل الفراهيدي (توفي ١٧٠هـ/٧٨٦م)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وآخر، مكتبة الهلال، ١٩٨٠م، ج٧، ص٣٢٣

(٤٥)الزبيدي، **تاج العروس**، ج١٦، ص٥٢٤.

(٤٦) انظر: عبد الكريم القشيري(توفي٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، الرسالة **القشيرية**، تقديم محمد البوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ٦١/١.

(٤٧) انظر: محمد بن عربي(توفي٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، **الفتوحات المكية**، تحقيق عبد العزيز المنصوب، اليمن، وزارة الثقافة، ٢٠١٠م، م ١، ص٥٣.

(٤٨)انظر: بيكو ريكور، **نظرية التأويل**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ص٩٥-٩٦.

(٤٩)انظر: يحيى السماوي، **موتيف" النهر والبحر" في شعر يحيى السماوي**، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، ع٢٠، م (١)، ٢٠١٣م، ص١-١٨

(٥٠) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه...)، حديث رقم (٤٧٢٥). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم (٢٣٨٠).

(٥١) انظر: صباح عنوز، **الأداء البياني في لغة القرآن الكريم ين النظرية والتطبيق**، بغداد، دار ولادة للطباعة، ١٩٩٨م(ط٢)، ص٢٦.

(٥٢) انظر: العبادسة، **الماء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، ص١٤٢،١٤١، ٢٥١.

(٥٣) إبراهيم سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١٣م، ج٥، ص٤١٨

(٥٤)انظر: عباس أمير، **المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني**، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٨م(ط١)، ص٢٩١.

(٥٥) انظر: محمود البستاني، **دراسة فنية في سور القرآن الكريم، سورة لقمان أنموذجا**، موقع وكالة أنباء الحوزة، ١١ يناير،٢٠٢٠م، https://ar.hawzahnews.com/news، تاريخ الاسترجاع:٢٠٢١/٨/٢١م.

(٥٦) انظر: عبد القاهر الجرجاني (توفي٤٧١هـ/١٠٧٨م)، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، (ط١)، ص٦٤،٦٥، ١٠٨، ١٠٩.

(٥٧)انظر: أميمة سميح الزين، **الماء وحضارة المجتمعات الإنسانية**، مجلة جيل البحث العلمي، العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد١، ٢٠١٣م، ص٥٢

(٥٨)انظر: محمد بن عربي(توفي٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، **فصوص الحكم**، تحقيق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٦م، ص١٧٠.

(٥٩) انظر: محمد الغزالي (توفي ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، **مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار**، شرح ودراسة وتحقيق الشيخ عبد العزيز السيروان، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م، ص١٥٩

(٦٠)انظر: محمد الجويلي، **العرب والبحر...قصة جمعت بين معاني الحياة والموت في الواقع والمجاز** ٢٠١٦/٨/٢٢م، https://alarab.co.uk، تاريخ الاسترجاع:٢٠٢١/٩/٦م.

(٦١)روى ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص عن الرسول ﷺ قوله (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) انظر: مسلم، **صحيح مسلم**، رقم الحديث (٢٦٥٣). وروى عبادة بن الصامت عن الرسول ﷺ قوله (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) رواه الترمذي (٢١٥٥) وأبو داود (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في " صحيح الترمذي.

(٦٢)عبد الله محمد القرطبي(توفي٦٧١هـ/١٢٧م)، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥م(ط١)، ج٩، ص٨.

(٦٣)محمد علي الصابوني(توفي١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، **صفوة التفاسير**، بيروت، لبنان، الأفق للطباعة والنشر، د.ت، ج٢، ص ١٠.

(٦٤)انظر: علي الفياض، **حركة الكلمة في النص القرآني (الماء أنموذجا) دراسة تفسيرية**، ص ١٩.

(٦٥)انظر: جلطي سالم، **صور الطبيعة في أمثال القرآن ودلالاتها الرمزية، سورة إبراهيم أنموذجا**، مجلة دراسات لسانية، العدد ١، المجلد(٤)، مارس٢٠٢٠م، ص١١٥

(٦٦)أخرجه البخاري ١ / ١٨٥ كتاب العلم، باب فضل من علم علّما حديث رقم ٧٩ ومسلم ٤ / ١ كتلب الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم رقم ٢٢٨٢ وأحمد ٤ / ٣٩٩.

(٦٧) انظر: عبد الرحمن الميداني، **أمثال القرآن وصور أدبه الرفيع**، دمشق، دار القلم، ١٩٨٠م(ط١)، ص٨٣.

(٦٨)الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**.، ج١، مادة (بحر)ص٣

(٦٩)محمود الزمخشري(توفي٤٦٧هـ/١٠٧٤م)، **أساس البلاغة**، بيروت: مكتبة ناشرون.١٩٩٨م. ص ٣٢

(٧٠) انظر: أحمد بن فارس (توفي ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، عمان، دار الفكر، ١٩٦٩م، ج١، ص٢٣.

(٧١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بحر).

(٧٢)انظر: العبادسة ، **الماء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)** ص٢٤٧-٢٤٨.وانظر: صلاح الدين سليم محمد، **لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص من التنزيل -دراسة دلالية** - مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد ٤،المجلد (٩) ٢٠١٠م، ص٢٧٩ وما بعدها.

(٧٣)رمضان عبد التواب، **التطور اللغوي وعلله وقوانينه**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٠م(ط٢)، ص١٥.

(٧٤) انظر: جوزيف فندريس، **اللغة**، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠م، ص١٧٨.

(٧٥)المقروئية ترجمة للفظ (Lisibilite). وتعني خصائص الكلام القابل للقراءة دون عنت أو عسر. انظر: خالد أبو عمشة، **المقروئية، ماهيتها وأهميتها وكيفية قياسها**، منشورات شبكة الألوكة، www.alukah.net، تاريخ الاسترجاع ٢٠١٨/٦/١٥م.

(٧٦) انظر: صباح عنوز، **الأداء البياني في لغة القرآن الكريم ين النظرية والتطبيق**، ص٩.

(٧٧) انظر: أحمد عطية، أدب **البحر**، ص٦.

(٧٨)انظر: عبد السلام المسدي، **الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب**، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م(ط٣)، ص١٥٠.

٧٩)انظر: يحيى السماوي، موتيف" النهر والبحر" في شعر يحيي السماوي، ص١-١٨